مجلـــة كليـــة التربيـــة طرابلـــس
Journal of the Faculty of Education Tripoli

الإدغام عند الصرفيين دراسة في المفهوم والأثر

د. مهرة معمر الفقيه

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة طرابلس/ كلية التربية، طرابلس، ليبيا

Dr. Muhra Muammar Alfakhih
Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Education – Tripoli, University of Tripoli

البريد الإلكتروني: mohra Alfaqeha@gmail.com

Article history
Received: 23 Jun 2026 Accepted: 27 Jun 2026 Published: 02 Aug 2026

الملخص:

تناول هذا البحث موضوع الإدغام عند الصرفيين، من حيث مفهومه وأثره الصوتي والجمالي في النصوص العربية بوصفه ظاهرة صرفية ذات أهمية كبيرة في بنية الكلمة العربية. ويهدف البحث إلى بيان مفهوم الإدغام عند علماء الصرف، وشروطه، وأقسامه وأثره في الأفعال والأسماء وعلاقته بالإعلال والإبدال ثم الكشف عن دوره في تحقيق التخفيف الصوتي، وسلامة البنية الصرفية، والجمال البلاغي في القرآن الكريم والشعرالعربي والنثر.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع آراء الصرفيين القدامى مثل سيبويه، وابن جني، وابن يعيش، والرضي. ومقارنتها بآراء بعض المحدثين متل تمام حسان وأحمد مختار.

وتوصلت الدراسة إلى أن الإدغام لا يقتصر على كونه وسيلة للتخفيف الصوتي، بل يمثل نظامًا صرفيًا متكاملاً يسهم في تقوية المعنى وتحقيق الانسجام الصوتي، وإبراز الجرس الموسيقى للكلمة مما يجعله عنصراً مهما في جماليات التعبير العربي.

الكلمات المفتاحية: الإدغام، التحقيق الصوتي، الجمال البلاغي، البنية الصرفية.

“Idgham” (Assimilation) Among Arab Morphologisits: A Study of Concept and Impact

Abstract:

This research discusses assimilation (Idgham) in Arabic Morphology from the perspective of classical morphologists, focusing on its concept and its phonetic and aesthetic effects in Arabic texts as assimilation is considered an important morphological and phonetic phenomenon in the structure of Arabic words. The study aims to explain the concept of assimilation; it's conditions and calssification; and its impact on verbs and nouns. In addition, it aims to clarify its relationship with vowel alteration (I’lal) and substitution (ibgal). The study also uncovers the role of assimilation in achieving phonetic alleviation, maintaining morphological structural integrity, and rnhancing rhetorical beauty in the Holy Qurán, Arabic poetry, and prose. The ressarch adopts the descriptive-analytical approach by tracing the views of clasgerical scholars, such as Sibawaɣh, lbn Jinni, Ibn Ya’ish, and Al-Radhi, and comparing them with the perspectives of modern scholars, such as Tammam Hassan and Ahmad Mukhtar Omar. The study concludes that assimilation is not limited to being a means of phonetic alleviation, but rather represents an integrated morphological system that contributes to reinforcing meaning, achieving phonetic harmony, and highlighting the musical element of words. This renders it a vital element in the aesthetics of Arabic expression.

Keywords: Assimilation, Phonetic Ease, Rhetorical Beauty, Morphological structure.

المقدمة:

الإدغام من أبرز الظواهر الصرفية والصوتية في اللغة العربية، إذ تمثل جانباً مهما من جوانب التيسير اللغوي والتخفيف في النطق، وقد حظيت بعناية كبيرة عند الصرفين القدماء والمحدثين لما لها من أثر واضح في بنية الكلمة وأوزانها ودلاتها الصوتية. فالإدغام لا يقتصر على كونه مجرد إلتقاء حرفين متماثلين أو متقاربين، بل يتجاوز ذلك إلى كونه وسيلة لغوية تسهم في تحقيق الانسجام الصوتي، وتخفيف الجهد النطقي والمحافظة على التوازن البنوي للكلمة العربية.

وقد تناول الصرفيون الإدغام من حيث مفهومه وشروطه وأقسامه وأثره في البنية الصرفية، إلا أن الجانب الجمالي لهذه الظاهرة ظل في كثير من الدراسات تابعاً للجانب الصوتي أو البلاغي دون تخصيص مستقل يبرز أثره في جمال الكلمة العربية، وجرسها الموسيقى ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى الجمع بين الدراسة الصرفية النظرية والتحليل التطبيقي، للكشف عن أثر الادغام في تحقيق الجمال الصوتي والإيقاعي داخل الكلمة العربية.

وتكمن مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يسهم الادغام بوصفه ظاهرة صرفية في تحقيق الجمال اللغوي داخل الكلمة العربية؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة تساؤلات، منها:

ما مفهوم الإدغام عند الصرفين؟ وما شروطه واقسامه ؟

كيف يؤثر الإدغام في بنية الكلمة والميزان الصرفي ؟ ما صور الجمال الصوتي التي يحققها، الادغام في القرآن،والشعر العربي، والنثر الفني ؟

ويهدف البحث إلى بيان مفهوم الإدغام عند الصرفين وأصوله الصرفية، وتحليل أثره في البنية الصرفية للكلمة والكشف عن الجماليات الصوتية والإيقاعية الناتجة عنه في النصوص العربية

منهج البحث: اتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال تقدير ظاهرة الإدغام في كتب الصرف القديمة والحديثة، ثم تحليل نماذج مختارة من النصوص القرآنية والشعرية والنثرية للكشف عن أبعادها الجمالية، و قد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث كل مبحث يتكون ثلاثة مطالب.

الإدغام عند الصرفيين وأثره في جماليات الكلمة العربية

المبحث الأول:

الإدغام عند الصرفيين: المفهوم والأحكام.

المطلب الأول: مفهوم الإدغام عند الصرفيين وأقسامه

الإدغام من الظواهر الصرفية والصوتية التي حظيت بعناية كبيرة عند علماء العربية؛ لما له من أثر مباشر في بنية الكلمة العربية، وفي تحقيق التخفيف الصوتي والانسجام النطقي. فتناول الصرفيون هذه الظاهرة من حيث مفهومها وشروطها، وأثرها في الأوزان الصرفية، وعدَوها من المسائل التي تكشف دقة النظام اللغوي العربي وحرصه على الاقتصاد في الجهد العضلي أثناء النطق.

أولا: الإدغام في اللغة

جاء الإدغام في اللغة من الفعل" أدغم" وأصله الإدخال والإلصاق. يقال: أدغمت الشيء في الشيء إذا أدخلته فيه، ومنه إدغام الحرف في الحرف، أي إدخال أحدهما في الآخر حتى يصيرا كالحرف الواحد المشدد.

وقد أشار ابن منظور إلى هذا المعنى بقوله: " أدغمت الحرف في الحرف إذا أسكنته ثم شددته بمثله، (ابن منظور 1414هـ).

ويظهر من هذا التعريف اللغوي أن فكرة الإدغام قائمة على الامتزاج والاندماج وهو ما ينقلنا الى الاصطلاح الصرفي عند النحاة والصرفيين.

ثانيا: الإدغام في الاصطلاح

عرَف سيبويه الإدغام من خلال التطبيق لا من خلال الحد المباشر إذ جعله من أبواب التخفيف فقال: " هذا باب الحرفين اللذين تدغم أحدهما في الآخر" (سيبويه، 1988). وهو بذلك يربط الإدغام بالوظيفة الصوتية المتمثلة في التخفيف وتقليل الجهد النطقي.

أما ابن جني فقد قدم تعريفاً أكثر تحديداً، إذ يقول: " حقيقة الإدغام أن تصل حرفا ساكنا بحرف في مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة ولا وقف، فيرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة " (ابن جني، 1954). جمع هذا التعريف الجانب الصوتي والجانب العضوي في عملية النطق.

ويعرفه ابن يعيش بأنه: " إدخال حرف في حرف حتى يصيرا حرفاً واحداً مشددا (ابن يعيش، 2001). وهو تعريف يركز على النتيجة النهائية للإدغام، وهي صيرورة الحرفين فى صورة صوتية واحدة.

أما ابن عصفور فيرى أن الإدغام هو " تقريب الحرف من الحرف حتى يصيرا بمنزلة حرف واحد تخفيفا (ابن عصفور 1996). وقد أضاف العلة الأساسية (التخفيف)

ثالثا: المقارنة بين تعريفات العلماء

عند النظر في تعريفات العلماء نجد أن جميعها تدور حول محورين رئيسين:

1- اتحاد الحرفين أو تقاربهما.

2- تحقيق التخفيف الصوتي.

غير أن الاختلاف بينهم يتمثل في زاوية النظر:

- سيبويه ركز على الوظيفة الصوتية
- ابن جني ركز على الكيفية النطقية العضوية
- ابن يعيش ركز على النتيجة الصرفية
- ابن عصفور جمع بين النتيجة والعلة.

هذا الاختلاف لا يمثل تعارضاً، بل يدل على تكامل الرؤية العلمية؛ لأن الإدغام ظاهرة مركبة تجمع بين الصوت والصرف والنطق.

ويرى تمام حسان أن هذا التعدد في التعريفات يعكس طبيعة اللغة نفسها إذ لايمكن فصل الجانب الصوتي عن الجانب البنيوى، فكل تغيير صوتي يعكس مباشرة على بنية الكلمة ووظيفتها (حسان، 2006) ويؤكد أحمد مختار أن الإدغام يمثل مظهرا من مظاهر الاقتصاد اللغوي، حيث تميل العربية الى تقليل الجهد العضلي دون الإخلال بالبنية الدلالية للكلمة (مختار، 1997).

رابعا: الإدغام بين النحاة والصرفيين

من المهم التمييز بين تناول النحاة للإدغام وتناول الصرفيون له، فالنحاة غالبا ما ينظرون اليه من زاوية الأداء الصوتي في السياق الكلامي خاصة في أبواب إلتقاء الساكنين وأحكام النطق، في حين ينظر الصرفيون إليه بوصفه عنصراً مؤثراً في بنية الكلمة نفسها.

فمثلاً، إدغام "مدد "في مدَ ليس مجرد ظاهرة صوتية، بل هو تحول صرفي يؤثر في الوزن صرفي والتحليل البنيوي للكلمة وكذلك في مثل "اتّصل"، و" ادَكر فإن الإدغام يرتبط ببنية صيغة " افتعل" وما يطرأ عليها من تغييرات.

ولهذا كان الصرفيون أكثر دقة في دراسة الإدغام من حيث أثره في الميزان الصرفي، بينما كان اهتمام النحاة أقرب إلى سلامة الأداء الصوتي.

وقد أشار الرضي الى هذا الفرق بقوله إن الإدغام عند الصرفيين يتعلق "بذات الكلمة وبنائها" أما عند النحاة فقد يتعلق " بحال اللفظ في التركيب" (الرضي،1975).

ويمكن ترجيح تعريف ابن جني بوصفه أدق تعريفات الإدغام؛ لأنه لم يقتصر على النتيجة النهائية بل وصف العملية الصوتية نفسها وصفاً علمياً دقيقاً، وربطها بحركة أعضاء النطق، وهو ما يجعله الأكثر شمولاً من غيره.

كما أن هذا التعريف ينسجم مع الدراسات الصوتية الحديثة التي ترى أن الإدغام عملية articulatoryassiguilation تهدف الى تقليل الجهد العضلي وتحقيق الانسيابية النطقية (شاهين، 1980). ومن ثم فإن الإدغام ليس مجرد حذف أو اختصار شكلي، بل هو نظام صوتي صرفي محكوم بقوانين دقيقة تحفظ للكلمة بنيتها وتمنحها في الوقت نفسه خفة وانسجاماً.

المطلب الثاني: أنواع الإدغام عند الصرفيين

بعد تحديد مفهوم الإدغام وبيان أسسه النظرية، تأتي مسألة تقسيمه وأنواعه وهي من أكثر مباحث الإدغام أهمية عند الصرفيين لأن الحكم على وقوع الإدغام أو امتناعه لا يتم إلا بعد معرفة العلاقة الصوتية بين الحرفين المتجاورين.

وقد اتفق العلماء على أن الإدغام لا يقع اعتباطاً، وإنما تحكمه صلات صوتية دقيقة بين الحروف تقوم على التماثل أو التجانس أو التقارب، ومن هنا قسموا الإدغام إلى ثلاثة أنواع رئيسة: إدغام المتماثلين وإدغام المتجانسين، وإدغام المتقاربين.

وهذا التقسيم لم يكن مجرد تصنيف نظري بل هو أساس الأحكام الصرفية المتعلقة ببنية الكلمة، إذ يترتب عليه تحديد مواضع الوجوب والجواز والامتناع، كما يرتبط بالميزان الصرفي والتحقيق الصوتي معا.

أولاً: إدغام المتماثلين.

ويقصد به إلتقاء حرفين متحدين في المخرج والصفة، بحيث يكون الحرف الأول ساكنا والثاني متحركاً فيُدغم الأول في الثاني، ويصيران حرفاً واحداً مشدداً. ومن أمثلة:

- مدد ـــــ مدَ
- شدد ـــــ شدَ
- ردد ـــــ ردَ
- مرر ـــــ مرَ

وقد عدَ الصرفيون هذا النوع أقوى أنواع الإدغام وأوضحها؛لأن التماثل الكامل بين الحرفين يجعل النطق بهما منفصلين أثقل من إدغامها يقول سيبويه: " إذا إلتقى الحرفان من موضع واحد وصفة واحدة كان الإدغام أولى، لأن اللسان لا يحتاج إلى انتقال " (سيبويه، 1988). ويؤكد ابن جني أن هذا النوع هو الأصل في باب الإدغام؛لأن العلة الصوتية فيه ظاهرة، إذ إن الحرفين بمنزلة حرف واحد في الحقيقة الصوتية(ابن جني 1954)

فتلاحظ أن الإدغام هنا لا يؤدي إلى الفساد في المعنى ولا اضطرب في البنية، بل يحقق اختصارا صوتيا مع بقاء الأصل الصرفي محفوظا في التحليل ولذلك يزن الصرفيون كلمة "مدَ" على أصلها "مدد " لاعلى صورتها الملفوظة.

وهذا ما يجعل الإدغام في المتماثلين بابا صرفياً أصيلاً لا مجرد ظاهرة نطقية.

ثانيا: إدغام المتجانسين

ويقصد به إلتقاء حرفين اتحدا في المخرج واختلفا في بعض الصفات كإلتقاء التاء بالدال، أو الطاء بالتاء، أو الذال بالظاء ومن أمثلته:

- قد تبين
- إذ ظلموا
- اتَخد
- ادَكر

وفي مثل "اتّخد" يرى الصرفيون أن الأصل هو " ائتخذ " أو اوتخد على خلاف بينهم ثم وقع الإبدال والإدغام حتى استقرت الصورة النهائية.

و قد بين ابن يعيش أن هذا النوع أقل قوة من إدغام المتماثلين؛ لأن الحرفين ليس متماثلان تماماً وإنما يشتركان في المخرج فقط، ولذلك يحتاج الإدغام فيه الي شروط أدق(ابن يعيش 2001)

ويرى الرضي أن التجانس سبب قوي للإدغام، لأن اتحاد المخرج يخفف من مشقة الانتقال بين الحرفين، وإن اختلفت بعض الصفات الصوتية (الرضي، 1975).

ومن الناحية الصرفية، يظهر هذا النوع بوضوح في صيغ الافتعال مثل:

- اذتكر ـــ ادَكر
- اصتبر ـــ اصطبر
- اضترب ـــ اضطرب

حيث يحدث الإبدال أولاً ثم الإعلال، مما يدل على التداخل بين أبواب الصرف المختلفة.

ثالثا: إدغام المتقاربين

وهو إلتقاء حرفين تقاربا في المخرج أو الصفة دون أن يتحدا تماما مثل اللام والراء، أو القاف والكاف أو النون الميم في بعض المواضع.

ومن أمثلثه:

- قل رب
- بل ران
- من ربهم

وهذا النوع أضعف أنواع الإدغام؛لأن العلاقة بين الحرفين ليست قوية كالمتماثلين ولا واضحة كالمتجانسين.

ولهذا كان الإدغام فيه أقل شيوعاً وأكثر ارتباطاً بالسياق الصوتي و سرعة النطق.

ويذكر ابن عصفور أن المتقاربين قد يدغمان طلباً للخفة إذ أمن اللبس، أما إذا أدى الادغام إلى غموض أو اختلال في البنية فإنه يمتنع(ابن عصفور، 1996).

وهذا يدل على أن الصرفيين لم يجعلوا الإدغام غاية مستقلة، بل جعلوه تابعا لسلامة الكلمة أولاً.

والتدرج في القوة بين أنواع الإدغام يرجع إلى العلاقة الصوتية بين الحرفين، فكلما زاد التشابه بينهم قوي سبب الإدغام.

وقد أشار أنيس إلى أن العربية تميل بطبيعتها إلى الإدغام حين يكون التشابه كبيراً؛ لأن الجهاز النطقى يبحث عن أقصر طريق صوتي ممكن(أنيس، 1999) ويؤكد تمام حسان أن هذا التدرج يكشف أن الإدغام ليس قاعدة جامدة بل نظام مرن يخضع لمبدأ التوازن بين التخفيف والمحافظة على الوضوح الدلالي(حسان، 2006).

يمكن القول أن تقسيم الصرفيين للإدغام الى متماثلين ومتجانسين ومتقاربين من أدق التصنيفات الصوتية في التراث العربي؛ لأنه قائم على ملاحظة علمية دقيقة لمخارج الحروف وصفاتها، وهو ما يتفق مع الدراسات الصوتية الحديثية.

وهذا التقسيم لا يخدم الجانب الصوتي وحده، بل يكشف أثر الإدغام في بنية الكلمة وتحولاتها الصرفية، خاصة في الأفعال المزيدة وصيغ الافتعال.

ومن هنا يتبين لنا أن دراسة أنواع الإدغام ليست مسألة تصنيفية فحسب بل هي مدخل ضروري لفهم العلاقة بين النظام الصوتي والبنية الصرفية في العربية وهي العلاقة التي ينبثق منها كثيرمن الجمال اللغوي في الكلمة العربية نفسها.

الفرق بين الإدغام الصوتي و الإدغام الصرفي

من المسائل الدقيقة التي ينبغي لنا الوقوف عندها في هذه الدراسة هي مسألة التمييز بين الإدغام الصوتى والإدغام الصرفي؛ لأن الكثير من الدراسات تخلط بينهما فتجعل كل إدغام صوتياً صرفاً، أو تنظر إليه من زاوية التجويد وحدها، مع أن الصرفيين قد تعاملوا معه بوصفه جزءاً من بنية الكلمة نفسها لا مجرد ظاهرة نطقية عارضة.

فالحقيقة أن الإدغام في العربية له مستويان متداخلان:

مستوى صوتي يتعلق بالأداء والنطق، ومستوى صرفي يتعلق ببنية الكلمة وأصلها الاشتقاقي، والفصل بينها ضروري لفهم طبيعة الإدغام وأثره الحقيقي في النظام اللغوي.

أولا: الإدغام الصوتي

الإدغام الصوتي هو الذي يحدث بسبب المجاورة الصوتية بين حرفين عند النطق، دون أن يكون لذلك أثر أصيل في البنية الصرفية للكلمة وهو غالباً ما يرتبط بالسياق التركيبي في الجملة، ويظهر في حال الاتصال الكلامي لا في أصل الكلمة نفسها.

ومن أمثلته:

- من ربهم
- قد تبين
- بل ران
- إذ ظلموا

فقي هذه الأمثلة لا يتغير أصل الكلمة الصرفي، وإنما تحدث الإدغام نتجية إلتقاء حرف ساكن بأخر متحرك مقارب له أو مجانس، طلباً للخفة وسرعة النطق.

ولهذا يُعنى به علماء الأصوات والقراء والنحاة أكثر من الصرفيين؛ لأنه متعلق بحال اللفظ في الاستعمال لا بحال الكلمة في أصل وضعها.

وقد أشار سيبويه إلى هذا النوع حين تحدث عن الإدغام في الكلام الجاري على اللسان، وربطه بسرعة النطق وتخفيف العبء الصوتي (سيبويه، 1988)

ويرى إبراهيم أنيس أن هذا النوع يمثل ظاهرة صوتية طبيعية في جميع اللغات حيث تميل الأصوات المتجاورة إلى التأثر بعضها ببعض تحقيقاً للسهولة(أنيس 1999).

ثانيا: الادغام الصرفي

أما الإدغام الصرفي فهو الذي يدخل في أصل بناء الكلمة نفسها، بحيث يصبح جزءاً من بنيتها الثابتة، ويؤثر في وزنها الصرفي وتحليلها الاشتقاقي،ومن أمثلته:

- مدَ ـــــ مدد
- شدَ ـــــ شدد
- اتَصل ـــــ او تصل أو افتصل
- ادَكر ـــــ اذتكر
- اضطرب ـــــ واضترب

فالإدغام هنا ليس مجرد تحسين في النطق، بل تحول بنيوي يترتب عليه تغيير في الصورة اللفظية للكلمة مع بقاء الأصل محفوظاً في التحليل الصرفي.

ولهذا يزن الصرفيون كلمة (مدَ) على أصلها (فعل) من مادة (مدد) لاعلى ظاهرها الملفوظ ويوكد ابن جنى أن هذا النوع هو الذي يختص به الصرفيون لأنه متعلق بأصل الكلمة لا بعرضها الصوتي، ويترتب عليه أحكام في الاشتقاق والميزان والإعلال (ابن جني،1954).

كما يرى ابن عصفور أن الإدغام الصرفي جزء من الصناعة الصرفية؛ لأن الحكم فيه لا يقوم على السماع وحده بل على القياس والقواعد البنيوية (ابن عصفور 1996).

ثالثا: أوجه الفرق بين الإدغام الصوتي والصرفي

يمكننا تلخيص أهم الفروق في عدة جوانب:

1- من حيث المجال.

- الإدغام الصوتي: يتعلق بالنطق في السياق الكلامي.
- الإدغام الصرفي: يتعلق ببنية الكلمة نفسها.

2 – من حيث التبات

- الإدغام الصوتي: عارض قد يظهر أو يزول بحسب السياق.
- الإدغام الصرفي: ثابت في صورة الكلمة.

3- من حيث الاختصاص العلمي

- الإدغام الصوتي، يدرسه النحاة والقراء و علماء الاصوات.
- الإدغام الصرفي يدرسه الصرفيون.

4- من حيث الأثر

- الإدغام الصوتي: أثره في الأداء الصوتي.
- الإدغام الصرفي: أثره في الوزن والاستقاق والبنية.

وهذا التفريق بالغ الأهمية؛ لان الخلط بين النوعين يؤدي إلى اضطراب في التحليل العلمي. خصوصا عند دراسة النصوص القرآنية أو الشعرية.

رابعاً: التداخل بين النوعين

على الرغم من هذا الفرق، فإن الفصل بين الإدغام الصوتي والإدغام الصرفي ليس فصلاً حاداً دائماً بل توجد مناطق تداخل بينهما، لأن الأصل في كثير من الظواهر الصرفية صوتي،فالإدغام الصرفي نشأ أصلا من حاجة صوتية إلى التخفيف ثم استقر في بنية الكلمة حتى صار قاعدة صرفية.

مثال ذلك (اتَخذ) فقد بدأ التغيير نتيجه ثقل النطق، ثم أصبح صورة صرفية مستقرة لا يُستعمل غيرها.

ويرى شاهين إلى أن الحدود بين الصوت والصرف في العربية ليست حدوداً فاصلة، بل هي مناطق تأثير متبادل، والإدغام من أوضح أمثلة ذلك (شاهين، 1980).

فالإدغام الصرفي هو الامتداد المستقر للإدغام الصوتي، فالأول نتيجة تطور الثاني داخل النظام اللغوي. فالعرب لم تقصد الإدغام لذاته وإنما قصدت التخفيف، ثم تحولت بعض صور هذا التخفيف إلى قواعد صرفية مستقرة.

ومن هنا فإن دراسة الإدغام عند الصرفيين يجب أن تنطلق من البنية لا من الأداء فقط،لأن البحث في " الإدغام عند الصرفين " يقتضي التركيز على أثره في الكلمة ذاتها، لا في السياق النطقي وحده.

وهذا يمهد لنا الانتقال الى دراسة شروط الإدغام وأحكامه وبيان متى يكون واجباً أو جائزاً أو ممتنعاً، هو ما يمثل الجانب التطبيقي الحقيقي لهذه الظاهرة في الصناعة الصرفية.

المطلب الثالث: شروط الإدغام وأحكامه

أولا:شروط وقوع الإدغام.

لا يقع الإدغام إلا وفق شروط صوتيه وصرفية دقيقه وضعها العلماء لضمان سلامة البنية اللغوية، ومنع ما قد يؤدي إلى اللبس أو فساد المعنى. ولهذا أهتم الصرفيون ببيان شروط وقوع الإدغام اهتماما بالغاً، لأن الإدغام إذا وقع في غير موضعه أفسد الكلمة، وإذا امتنع في موضعه أثقل اللفظ وخرج عن سنن العرب في التخفيف.

وقد أنطلق الصرفيون في تقرير هذه الشروط من مبدأين أساسيين: الأول هو تحقيق الخفة في النطق، والثاني هو المحافظة على وضع البنية الصرفية، فليس كل تقارب بين حرفين موجباً للإدغام، بل لابد من توفر شروط تجعل الإدغام مقبولاً من جهة الصوت، وسليما من جهة الصرف.

أ ـ سكون الحرف الأول وحركة الثاني

من أهم شروط الإدغام أن يكون الحرف الأول ساكنا، والثاني متحركاً، لأن الإدغام في حقيقته إدخال حرف ساكن في حرف متحرك،حتى يصيرا حرفاً واحداً مشدداً.

فإذا كان الحرفان متحركين لم يصح الإدغام إلا بعد إجراء تغيير يؤدي إلى تسكين الأول، لأن الحركة تمنع تمام الاندماج الصوتي.

ومن أمثلة ذلك:

- مددـــ مدَّ
- شدَ ـــ شدّ
- ردد ـــ ردّ

فالحرف الأول (الدال) سكن ثم أدغم في الثاني وقد نص ابن جني على هذا الشرط بقوله:

"لا يكون الإدغام إلا بعد إسكان الأول، لأن الحركة حاجز تمنع تمام الاتصال" (ابن جني،1954).

ويؤكد سيبويه أن هذا الشرط هو الأصل في جميع أبواب الإدغام، لأن التشديد لا يتحقق إلا من خلال هذا الاندماج الكامل (سيبويه،1988).

ب ـ التماثل أو التجانس أو التقارب بين الحرفين

وجود علاقة صوتية بين الحرفين المتجاورين تتمثل في التماثل أو التجانس أو التقارب أمر ضروري، لأن الإدغام مبنى على تقليل الانتقال بين أعضاء النطق.

فإذا كان الحرفان متباعدين في المخرج والصفة امتنع الإدغام لأن النطق بحرف واحد لا يحقق الخفة المطلوبة.

- الدال مع الدال ـــــ إدغام متماثلين
- التاء مع الدال ـــــ إدغام متجانسين
- اللام مع الراءـــــ إدغام متقاربين

أما مثل:

الباء مع القاف فلا يقع فيه الإدغام لبعد المخرج.

ويرى ابن يعيش أن هذا الشرط هو العلة الأساسية للإدغام، لأن الغاية منه اختصار الحركة العضلية للسان (ابن يعيش،2001).

كما يشير أحمد مختار إلى أن قرب المخرج هو الأساس العلمي الذي يفسر ظاهرة الإدغام في الدراسات الصوتية الحديثة (مختار 1997).

ج ـ ألا يؤدي الإدغام إلى لبس أو غموض

من الشروط المهمة أيضاً ألا يؤدي الإدغام إلى اختلال في المعنى أو غموض فى البنية الصرفية لأن المحافظة على الدلالة مقدمة على التخفيف الصوتي، فإذا كان الإدغام يؤدي إلى إلتباس بين صيغتين مختلفتين أمتنع.

مثال ذلك إمتناع بعض صور الإدغام التي قد تؤدي الى ذهاب أصل الكلمة أو صعوبة تمييزها عن غيرها.

ولهذا قال الرضي أن العرب " إنما تدعم حيث يؤمن اللبس فإذا خيف الإشكال تُرك الإدغام" (الرضي 1975).

وهذا يدل على أن الإدغام ليس قاعدة آلية، بل هو خاضع لمبدأ التوازن بين الخفة والوضوح.

د ـ ألا يكون الإدغام سبباً في زوال بنية أصلية.

قد يمتنع الإدغام إذا أدى إلى إفساد أصل صرفي مهم، كأن يؤدي إلى حذف دلالة بنيوية مرتبطة بالوزن أو الصيغة.

ففي بعض الأفعال المزيدة، يُترك الإدغام إذا كان سيؤدي إلى غموض في أصل الصيغة أو إضعاف الدلالة الاشتقاقية ولهذا نجد الصرفيين يراعون أصل الكلمة عند الحكم على الإدغام لامجرد الصورة الملفوظة.

ومن هنا فرقوا بين ما يجوز في الاستعمال وما يجوز في القياس. ويرى ابن عصفور أن المحافظة على الأصل الصرفي مقدمة على مجرد الخفة الصوتية،لأن المقصود من الصفة ليس الصوت وحده، بل الوظيفة الولالية أيضاً (ابن عضور،1996).

هـ ـ أن يكون الإدغام موافقاً للسماع العربي

مع أن القياس له دور كبير في الصرف، فإن السماع يظل أساسا في تقدير كثير من أحكام الإدغام، خاصة في المواضع التي تختلف فيها اللهجات أو تتعدد فيها الأوجه.

فبعض صور الإدغام لا تقبل إلا لورودها عن العرب، وبعضها يمنع مع إمكانه القياسي لعدم السماع به.

ولهذا كان سيبويه كثيرا ما يربط الحكم بقوله: " وذلك كثير في كلامهم" أو " لم يقولوه "مما يدل على أن السماع أصل حاكم في هذا الباب (سيبويه، 1988).

ويؤكد شوقي ضيف أن المدرسة البصرية كانت أكثر تشدداً في ربط الإدغام بالسماع، بينما وسّع الكوفيون باب القياس فيه (ضيف، 2004).

وهذا الخلاف يكشف أن الإدغام ليس مسألة صوتية محضة، بل هو جزء من منهجح الاستدلال النحوي والصرفي.

و ـ المقارنة بين آراء العلماء

عند مقارنة آراء العلماء نجد أن الجميع متفقون على الشروط الكبرى، لكن الاختلاف يظهر في مدى التوسع في تطبيقها.

- سيبويه يميل إلى ربط الإدغام بالسماع والاستعمال الفعلى.

- ابن جني يتوسع في تفسيره على أساسي صوتي عضوي.
- ابن عصفور يربطه بالبنية الصرفية والقياس.
- الرضي يجعل سلامة الدلالة معيارا حاسماً.

وهذا الاختلاف يدل على أن الإدغام ظاهرة متعددة الأبعاد لايمكن حصرها في منظور واحد.

فهو صوتي من حيث السبب، وصرفي من حيث الأثر، ودلالي من حيت النتيجة.

فالإدغام لا يفهم فهما صحيحاً إلا بالنظر إلى جميع عناصره: الصوت والبنية، والدلالة، والسماع.

فلايكفي أن يكون الإدغام ممكنا صوتياً حتى يحكم بجوازه، بل لا بد من مراعاة سلامة الصيغة ووضوح المعنى وثبوت الاستعمال.

وهذا ما يبرز دقة الصرفيين العرب، إذ لم ينظروا إلى اللغة بوصفها نظاماً آليا بل بوصفها بناء متوازناً يجمع بين الخفة والوضوح والجمال.

ومن هنا تظهر أهمية دراسة أحكام الإدغام لأن الشروط وحدها لا تكفي بل لابد من معرفة متى يكون الإدغام واجباً، ومتى يكون جائزاً، ومتى يمنع، وهو ما سيأتي في المطلب التالي.

ثانيا:أحكام الإدغام

الإدغام عند الصرفيين لا يكون على مرتبة واحدة، بل ينقسم من حيث الحكم الي ثلاثة أقسام رئيسة: إدغام واجب، وإدغام جائز وإدغام ممتنع. وهذا التقسيم يكشف دقة الصناعة الصرفية العربية، لأن العلماء لم يجعلوا الإدغام قاعدة مطلقة بل ضبطوه بحسب ما تقتضيه البنية الصوتية والصرفية للكلمة والأصل في هذا التقسيم أن العرب تقصد إلى التخفيف، لكن هذا المقصد لا يتحقق دائما على صورة واحدة، فقد يبلغ الإدغام درجة لا يجوز معها الفك، وقد يكون الأمران الإدغام والفك على السواء، وقد يمتنع أصلاً إذا أدى إلى فساد في البنية أو المعنى.

أ- الإدغام الواجب

الإدغام الواجب هو الذي لا يصح فيه الفك، أو يكون الفك فيه مخالفاً للاستعال العربي المستقر بحيث تصبح صورة الإدغام هي الصورة المعتمدة في اللغة.

ويكثر هذا النوع فى المتماثلين إذا اجتمعا في كلمة واحدة، وكان الأول ساكناً والثاني متحركاً، مثل:

- مدّ (أصلها: مدد)
- شدَّ (أصلها: شدد)
- ردَ (أصلها: ردد)
- فرَ (أصلها: فرر)

فهذا لا يقال في الاستعمال العربي الفصيح: "مدد، أو شدد" بصورتها الأصلية في الفعل الماضي بل الصورة المستقرة هي المشددة

وقد نص سيبويه على أن هذا النوع من الإدغام لازم لأن تركه يؤدي إلى ثقل لا تقبله العربية في استعمال المعتاد (سيبويه، 1988).

ويرى ابن جني أن الوجوب هنا ناشيء من قوة التماثل بين الحرفين إذ إن الفصل بينهما يُعد تكلفاً صوتيا لا مبرر له (ابن جنى،1954).

ومن الناحية الصرفية، فإن الإدغام الواجب يدل على استقرار الظاهرة حتى أصبحت جزءاً من صورة الكلمة لامجرد احتمال نطقي.

ب ـ الادغام الجائز

الإدغام الجائز هو الذي يصح فيه الوجهان: الإدغام والفك، دون أن يكون أحدهما ممتنعا من جهة القياس أو السماع، وإن كان أحدهما قد يكون أفصح أو أكثر استعمالاً.

ومن أمثلة ما يقع في بعض المواضع بين كلمتين مثل:

- قد تبين / قدْتبين
- من ربهم / منْ ربهم

فالإدغام هنا جائز بحسب سرعة النطق والسياق الصوتي وقد يظهر أيضاً في بعض الأبنية الصرفية التي تحتمل الوجهين بحسب اللهجات أو اختلاف الاستعمال.

ويرى الرضي أن هذا النوع يرتبط كثيراً بالسياق الكلامي، وأن العرب قد تدغم طلبًا للخفة، وقد تفك طلبًا للبيان (الرضي، 1975).

ويؤكد ابن جني أن الجواز هنا لا يعني التساوي المطلق، بل قد يكون أحد الوجهين أقوى في القياس أو أكثر في السماع (ابن يعيش، 2001).

ولهذا لا بد من مراعاة السياق والقياس معا عند الحكم.

ج ـ الإدغام الممتنع

الإدغام الممتع هو الذي لا يجوز وقوعه، إما لعدم تحقق شروط الإدغام، أو لأن وقوعه يؤدي إلى لبس أو فساد في البنية الصرفية أو اختلال في المعنى.

ومن أمثلته:

- إذا كان الحرفان متباعدين في المخرج
- إذا أدى الإدغام إلى زوال أصل صرفي مهم
- إذا كان في الإدغام غموض دلالي
- إذا منع السماع العربي وقوعه

فمثلا لا يُدغم حرف الباء في القاف لبعد المخرج أو لا يُقبل الإدغام إذا أدى إلى إلتباس صيغة بأخرى.

وقد أشار ابن عصفور إلى أن الامتناع ليس مجرد مسألة صوتية بل قد يكون سببه صرفيا أو دلاليا لأن الغاية من اللغة ليست الخفة وحدها، بل البيان أيضا (ابن عصفور 1996)

ويؤكد شاهين أن بعض صور الإدغام الممكنة صوتياً لا تقع في العربية لأن النظام اللغوي يرفضها حفاظاً على الوضوح البنيوي (شاهين، 1980).

د- الإدغام بين السماع والقياس

من أبرز القضايا المرتبطة بهذا التقسيم مسألة العلاقة بين الجماع والقياس فقد يجيز القياس الإدغام، لكن السماع يمنعه أو يرد السماع بصورة مدغمة لا يظهر فيها القياس واضحا.

وهنا اختلفت المدارس النحوية:

- البصريون جعلوا السماع أصلا أقوى من القياس.
- الكوفيون توسعوا في القياس إذا قوي وجهه الصوتي.

وقد انعكس هذا الخلاف على أحكام الإدغام، خاصة في الأبنية القليلة الدوران.

ويذكر شوقي ضيف أن هذا الاختلاف لا يعني تضاداً، بل يعكس منهجين مختلفين في فهم النظام اللغوي: منهج المحافظة ومنهج التوسع (ضيف، 2004).

وهذا يوضح أن الحكم على الإدغام لا يُبني على الصوت وحده بل على المنهج اللغوي العام.

هـ ـ المقارنة بين الأقسام الثلاثة

يمكن ترتيب الأقسام الثلاثة من حيث قوة الحكم على النحو الآتي:

- الإدغام الواجب ـــــ أقوى درجات اللزوم
- الإدغام الجائز ـــــ وسط بين الوجهين
- الإدعام الممتنع ـــــ منع مطلق

وهذا التدرج يعكس مرونة العربية، فهي لا تسير على قاعدة واحدة جامدة، بل تراعي درجات مختلفة من الحاجة إلى التحقيق.

ويرى تمام حسان أن هذا من مظاهر عبقرية النظام العربي، إذ يجمع بين الانضباط والمرونة في آن واحد (حسان،2006).

إن تقسيم الإدغام الي واجب وجائز وممتنع يمثل التطبيق العملي الحقيقي لشروط الإدغام؛ لأن الشروط النظرية لا تكتمل إلا بتحويلها إلى أحكام استعمالية واضحة.

والراجح أن الإدغام الواجب هو الأصل في المواضع التي يتحقق فيها التماثل الكامل داخل الكلمة، أما الجواز فيغلب في السياقات التركيبية، وأما الامتناع فيرتبط غالبا بحماية البنية والدلالة.

وهذا يدل على أن الإدغام في العربية ليس مجرد ميل صوتي عفوي، بل هو نظام مضبوط يوازن بين الخفة والوضوح، وبين الاقتصاد في النطق والمحافظة على المعنى.

ومن هنا تنتقل الدراسة إلى مجال أكثر تخصصا، وهو بيان أثر الإدغامفي البنية الصرفية؛لأن تطبيق الأحكام يختلف باختلاف البنية الصرفية للكلمة نفسها.

المبحث الثاني: أثر الإدغام في البنية الصرفية للكلمة

المطلب الأول: أثر الإدغام في أوزان لأفعال

الميزان الصرفي من أهم الوسائل التي اعتمدها الصرفيون في دراسة بنية الكلمة العربية، إذ به تُعرف أصول الكلمات وزوائدها، وتُكشف التحولات التي طرأ عليها من حذف أو قلب أو إعلال أوإدغام ومن هنا فإن دراسة الإدغام لا تكتمل إلا ببيان أثره في الميزان الصرفي، لأن الإدغام لا يقتصر على التخفيف الصرفي، بل ينعكس مباشرة على صورة الكلمة ووزنها وتحليلهاالاشتقاقي.

وقد أدرك الصرفيون منذ وقت مبكر أن الكلمة المدغمة قد تبدو في ظاهرها مخالفة لوزنها الحقيقي، ولهذا قرروا قاعدة مهمة وهي الوزن يكون على الأصل لاعلى اللفظ، لأن الإدغام عارض صوتي، أما الميزان فمبني على الأصول الصرفية الثابتة.

أ- الإدغام في الفعل الثلاثي المضاعف

من أوضح الأمثلة على أثراء الإدغام في الوزن الصرفي الأفعال الثلاثية المخصصة مثل:

- مدّ
- شدّ
- ردّ

وعند الوزن لا توزن على ظاهرها الملفوظ بل على أصلها قبل الإدغام، فتكون على وزن فعل لا على وزن "فع".

وقد نص سيويه على أن الإدغام لايسقط الأصل من الاعتبار الصرفي لان الميزان إنما يُقصد به الكشف عن الجذور لا مجرد محاكاة النطق (سيبويه، 1988).

ويرى ابن جني أن من الخطأ وزن الكلمة المدغمة على ظاهرها؛ لأن ذلك يؤدي إلى فساد التحليل الاشتقاقي وضياع الأصل اللغوي (ابن جني، 1954).

ب - الإدغام في صيغ الافتعال

تظهر أهمية الإدغام الصرفي بصورة أعمق في الأفعال المزيدة، خاصة صيغة افتعل لأنها من أكثر الأوزان تعرضا للابدال والإدغام.

ومن أمثلتها:

- اتَصل أصلها: اوتصل أو افتصل
- اذكر أصلها: اذتكر
- اضطرب أصلها: اضترب
- اصطبر أصلها اصتبر

وعلى الرغم من أن الصورة الملفوظة توحي بوزن مختلف فإن الصرفيين يزنونها جميعا على افتعل، لأن الميزان يُبنى على الأصل الاشتقاقي لا على الصورة النهائية بعد التغير الصوتي.

يرى ابن يعيش أن معرفة هذا الأصل شرط أساسي لفهم الصيغة؛ لأن الإدغام هنا نتيجة لعمليات صرفية متتابعة تبدأ بالإبدال تم تنتهي بالإدغام (ابن يعيش، 2001) .

ويرى الرضي أن هذا الباب من أدق أبواب التصريف، لأن الطالب قد ينخدع بظاهر اللفظ فيحسب الوزن على الصورة النهائية لاعلى الأصل (الرضي 1975).

ولهذا كان الصرفيون يحرصون على رد الكلمة إلى أصلها قبل الحكم عليها.

ج - الإدغام واثره في الفعل الرباعي والمزيد

لا يقتصر الإدغام على الثلاثي وصيغ الافتعال، بل يظهر أيضا في بعض الأبنية الرباعية والمزيدة مثل:

- احمرّ
- اقشعرّ

- اطمأنّ

ففي مثل "أحمرّ" يظهر الإدغام في إلتقاء الراءين، وهو إدغام يؤثر في صورة الكلمة لكنه لا يغير أصل الوزن. فالفعل: أحمرّ وزنه أفعل وليس" افعّ "وهذا يدل على أن الإدغام قد يكون جزءاً من بنية الوزن نفسه لا مجرد عارض لاحق.

وقد أشار ابن عصفور إلى أن هذا النوع يكشف مرونة الميزان الصرفي العربي وقدرته على استيعاب التغيرات الصوتية دون فقدان الأصل البنيوي (ابن عصفور، 1996).

د- أثر الإدغام في تصاريف الفعل

من القضايا المهمة أيضاً أن الإدغام قد يظهر في بعض تصاريف الفعل ويزول في أخرى، ما يكشف أن الأصل الصرفي محفوظ وإن غاب صوتيا.

مثال ذلك:

- مدّ – مددت – يمددْن

ففي الماضي المجرد يظهر الإدغام لكن عند اتصال الفعل بضمير متحرك أو في بعض الصيغ يعود الفك، وهذا يؤكد أن الأصل هو: مدد وليس "مدّ".

وقد جعل الصرفيون هذا من أقوى الأدلة على أن الإدغام ظاهرة صوتية بنيوية لاحذفاً حقيقيا للأصل

فظهور الأصل عند التصريف يثبت أن الإدغام ليس اختصاراً صرفيا نهائياً بل هو تخفيف نطقي مرتبط بمواضع مخصوصة(السامرائي،2007).

هـ ـ المقارنة بين آراء العلماء

عند مقارنة آراء العلماء نجد اتفاقاً عاماً على أن الوزن يكون على الأصل لاعلى اللفظ لكن الاختلاف يظهر في تفسير سبب ذلك

- سيويه يربطه بالمحافظة على الجذر اللغوي
- ابن جنى يربطه بالتحليل الصوتي العضوي
- الرضي يربطه المنهج الميزان الصرفي نفسه
- ابن عصفور يربطه باستقرار البنية الاشتقاقية

وهذه الاتجاهات متكاملة لا متعارضة، لأنها تفسر الظاهرة من مستويات مختلفة.

ويؤكد تمام حسان أن هذا الاتفاق بين القدماء يكشف نضج التفكير الصرفي العربي، لأنهم فصلوا بين الصورة السمعية والبنية الذهنية للكلمة (حسان، 2006).

من هنا نستطيع أن ترجح القاعدة الصرفية التي تجعل الوزن على الأصل لا على اللفظ لأنها الأقدر على حفظ النظام الاشتقاقي للغة، ولأنها تفسر الظواهر المختلفة تفسيراً منسجما.

قلو اعتمدنا اللفظ الظاهر وحده لاختلطت الأوزان، وضاعت العلاقات بين الكلمات المشتقة من أصل واحد.

ولهذا فإن الإدغام لا ينبغي أن ينظر إليه بوصفه حذفاً، بل بوصفه ستاراً صوتيا يغطي الأصل دون أن يلغيه.

فالميزان الصرفي استطاع أن يحفظ أصول الكلمات رغم ما يطرأ عليها من تغيرات صوتية متعددة.

وهذا يقودنا إلى دراسة الإدغام في بنية الأسماء، لأن الطاهرة لا تقتصر على الأفعال وحدها.

المطلب الثاني: أثر الإدغام في بنية الأسماء

لا يقتصر أثر الإدغام على الأفعال وحدها، بل تمتد إلى الأسماء أيضاً، وإن كان ظهوره في الأسماء أقل كثافة وأكثر استقراراً من ظهوره في الأفعال، ويرجع ذلك إلى أن الفعل بطبيعته أكثر تعرضا للتصريف والتحول، بينما تميل الأسماء إلى الثبات النسبي بعد استقرار صورتها المعجمية. ومع ذلك فإن الإدغام في الأسماء يمثل جانياً مهماً من جوانب البنية الصرفيه، لأنه يكتشف أثر التخفيف الصوتي في بناء الاسم أو في طريقة اشتقاقة ووزنه واستعماله.

أولا: الإدغام في الأسماء الثلاثية المضعفة

من أبرز صور الإدغام في الأسماء ما يظهر في الأسماء الثلاثية المضعفة مثل:

- حيّ.
- مّيت.
- شابّ.
- دابّة.
- مادّة.

فهده الأسماء تتضمن إلتقاء حرفين متماثلين أو متقاربين أدى إلى الإدغام، فصارت في الصورة النهاية مشددة فمثلا:

- حيَ أصلها: حيي.
- ميَت أصلها: ميت أوميوت على اختلاف التحليل.
- دابَة أصلها: دابيه.

وقد اختلف العلماء في بعض هذه الأصول حسب النظر الاشتقاقي لكنهم اتفقوا على أن الإدغام فيها ليس مجرد ظاهرة صوتية، بل جزء من استقرار البنية الأسمية.

ويشير ابن جني إلى أن الأسماء المدغمة كثيراً ما تكون أقوى استقرارا من الأفعال؛ لأن الاسم إذا استقر في الاستعمال غلبت صورته النهائية على أصله (ابن جني، 1954).

وهذا ما يجعل التحليل الصرفي فيها أكثر احتياجاً إلى الرجوع الى كتب التصريف.

ثانيا: الإدغام في الأسماء المشتقة

يظهر الإدغام أيضا في كثير من الأسماء المشتقة من الأفعال مثل:

- اسم الفاعل
- اسم المفعول
- المصدر

الصفة المشبهة

ومن أمثلة ذلك:

- مُشدَ
- مُمدّ
- اتَصال

- ادّخار
- اضطراب
- اصطبار

فهذه الأسماء ورثت الإدغام من أفعالها الأصلية، مما يدل على أن الإدغام لا يقتصر على صيغة واحدة، بل يمتد إلى جميع المشتقات المرتبطة بالمادة نفسها.

مثل الفعل ادّخر ينتيج عنه ادّخار

والفعل اتصل ينتج عنه اتّصال

وهنا لا يكون الإدغام عارضاً جديداً بل استمراراً لبنية مستقرة في الجذر الصرفي.

ويرى ابن عصفور أن انتقال الإدغام من الفعل إلى مشتقاته الأسمية دليل رسوخ الظاهرة في النظام الاشتقاقي العربي لامجرد كونها تحسينا نطقيا (ابن عصفور،1996).

وكذلك من المواضيع المهمة أيضاً ظهور الإدغام في بعض صيغ المبالغة والصفات المشبهة مثل:

- ضرّاب
- فتّاح
- علاّم
- قوّام

فهذه الأبنية تكشف أن الإدغام قد يرتبط بالدلالة أيضاً،لا بالصوت وحده؛ إذ إن التشديد في بعض المواضع، يمنح اللفظ قوة صوتية تتناسب مع معنى المبالغة أو الكثرة.

وقد أشار بعض البلاغيين إلى أن هذا النوع من الإدغام يضيف بعداً دلالياً وجماليا، لأن التشديد في البداية الصرفية يقابل القوة في المعنى.

لكن الصرفيين يجعلون الأصل أولاً في ذلك، ويرون أن البنية الصرفية هي التي أفرزت هذا الأثر الدلالي.

ويرى فخرالدين قباوه أن صيغ المبالغة من أوضح الأمثلة على تداخل الصوت والدلالة في الصرف العربي،حيث تتحول الظاهرة الصوتية إلى عنصر معنوي مؤثر (قباوه،2008ص)

رابعاً: أثر الإدغام في وزن الاسم.

كما في الأفعال فإن الوزن الصرفي في الأسماء يكون على الأصل لا على الصورة المدغمة.

فمثلا:

- دابّه ـــــ فاعلة.
- مادّة ـــ فاعله.
- قوّة ـــــ فعلة.
- اتّصال ـــــ افتعال.
- ادّخار ـــــ افتعال.

فلا يعتد بظاهر التشديد عند الوزن، بل يجب رد الاسم إلى أصله.

وقد أكد الرضي أن الميزان الصرفي لا يفرق في هذه القاعدة بين الاسم والفعل لأن المقصود من الوزن هو حفظ الأصول لا وصف الملفوظ فقط (الرضى 1975).

وهذا يثبت أن الإدغام في الأسماء يخضع للمنهج الصرفي نفسه الذي يحكم الأفعال.

خامساً: المقارنة بين الإدغام في الأسماء والأفعال.

عند المقارنة بين المجالين نجد أن:

- الإدغام في الأفعال أكثر حركة وتنوعاً
- الإدغام في الأسماء أكثر ثباتاً واستقرارًا
- الأفعال تظهر الأصل عند التصريف
- الأسماء يغلب فيها استقرار الصورة النهائية

ولهذا قد يكون اكتشاف الأصل الصرفي في الاسم أصعب منه في الفعل.

ويري أبو المكارم أن هذه الخاصية تجعل دراسة الإدغام في الأسماء أكثر دقة من جهة التحليل الاشتقافي لأن الباحث يحتاج إلى تتبع الأصل التاريخي للكلمة لا مجرد صورتها الحالية (أبوالمكارم،2007).

فالإدغام في الأسماء يمثل المرحلة النهائية لاستقرار الظاهرة الصرفية، فبعد أن يبدأ الإدغام بوصفه حاجة صوتية في الفعل أو الجذر، ينتقل إلى المشتقات الأسمية حتى يصبح جزءا ثابتا من صورة الاسم.

وهذا يفسر لماذا تكون بعض الأسماء المدغمة أبعد عن الإحساس بأصلها من الأفعال لأن الاستعمال الطويل رسَخ الصورة المدغمة حتى صارت هي الأصل في الذهن اللغوي.

ومن هنا فإن دراسة الإدغام في الأسماء لا تقل أهمية عن دراسته في الأفعال؛ لأنها تكشف كيف تتحول الظاهرة الصوتية إلى بنية معجمية مستقرة، وهو ما يعمق فهمنا لطبيعة العربية بوصفها لغة تجمع بين الدقة الصرفية والجمال الصوتي وبذلك يتضح أن الإدغام لا يؤثر في الوزن وحده، بل يرتبط أيضا بعلاقته بالإعلال والإبدال وهما من أكثر أبواب الصرف اتصالاً به، وهو موضوع المطلب التالي:

المطلب الثالث: الإدغام وعلاقته بالإعلال والإبدال

أولا: التداخل بين الإدغام والإعلال والإبدال

الإدغام والإبدال من أبرز الظواهر الصرفية التي تكشف دقة النظام اللغوي العربي، فكلاهما يمثل نوعاً من التغيير الذي يطرأ على بنية الكلمة طلباً للخفة، وتيسيرا للنطق مع المحافظة على الأصل الاشتقاقي والدلالة العامة ولهذا لم ينظر الصرفيون إلي الإدغام والإعلال بوصفهما بابين منفصلين تماما، بل رأوا بينهما علاقة وثيقة تقوم على الاشتراك في العلة الصرفية والغاية الصرفية.

فالإدغام غالباً ما يكون نتيجة لتقارب الأصوات أو تماثلها والإعلال يقع بسبب حروف العلة أو ثقل فى التراكيب الصوتية، وكلاهما في النهاية يهدف إلى تخفيف البنية اللفظية وتحقيق الانسجام الصوتي، ومن هنا يظهر التداخل بين البابين في كثير من الأبنية، خاصة في الأفعال المعتلة المزيدة.

ثانياً: مفهوم الإعلال وصلته بالإدغام

الإعلال في اصطلاح الصرفيين هو التغيير الذي يطرأ على أحد حروف العلة (الواو، الألف، الياء) بالقلب أو الحذف أو التكسين طلباً للخفة أو انسجاما مع السياق الصوتي.

ومن أمثلته:

- قال أصلها: قول
- باع أصلها: بيع
- دعا أصلها: دعو

أما الإدغام فهو إدخال حرف في حرف حتى يصيرا حرفا واحداً مشدوداً كما في:

- مدَ أصلها: مدد
- اتصل أصلها: اوتصل
- ادّكر اصلها: اذتكر

وعلى الرغم من اختلاف الآلية بين الظاهرتين فإن العلة الجامعة بينهما هي التخفيف.

وقد أشار ابن جنى إلى أن العرب "تفر من الثقل إلى الخفة "وأن الإعلال والإدغام من أبرز مظاهر هذا الفرار الصوتي المنظم (ابن جني،1954).

ويؤكد تمام حسان أن الصرف العربي قائم في كثير من أبوابه على مبدأ الاقتصاد النطقي، وهو ما يجمع بين الإدغام والإعلال تحت أصل واحد (حسان، 2006).

ثالثا: مواضع التداخل بين الإدغام والإعلال

يظهر التداخل بين الإدغام والإعلال في مواضع كثيرة خاصة حين يكون أحد الحرفين المدغمين حرف علة أو حين يؤدي الإعلال الى تهيئة البنية المناسبة للإدغام، ومن أبرز الأمثلة:

1- حيَ ـــــ حيي.

فاجتمع حرفا الياء، فحدث نوع من التخفيف وهو إعلال فأصل الكلمة "حيوي " وقعت الواو مكسورة بعدها ياء قلبت هذه الواو إلى ياء فأصبحت هكذا " حييي " إلتقت ثلاثة ياءات حذفت الياء الساكنة ثم أدغمت الياء في الياء لتصير "حيَ" وهذا تداخل بين الإعلال والإدغام بسبب حرف العلة(بسب التماثل)

2- ميَت ـــــ ميِيت فحففت البنية بالإعلال تم الإدغام حتى استقرت النهائية.

3- سيد أصلها عند بعضهم: سيود تم طراً الإعلال والإدغام حق استقرت الصيغة.

وهذه الأمثلة تكشف أن الفصل النظري بين البابين لا يمنع اتحادهما في التطبيق العملي.

ويرى ابن يعيش أن كثيراً من الألفاظ لا يمكن تفسيرها تفسيراً صحيحا إلا بجمع بابي الإعلال و الإدغام معاً لان أحدها يفسر سبب الآخر (ابن يعيش، 2001).

وقد أشار الرضي الى أن بعض صور الإدغام لا تفهم إلا بعد تتبع مراحل الإعلال السابقة عليها، لأن الصورة النهائية تخفي مراحل متعددة من التحول الصرفي (الرضى، 1975).

رابعا: الإعلال بوصفه بديلاً عن الإدغام

وفي مواضع أخرى قد يكون الإعلال بديلاً عن الإدغام، أي أن العرب تختار أحد المسلكين للتحقيق الخفة. فقد تُعل الكلمة بدلاً من إدغامها إذا كان الإدغام يؤدي إلى ثقل أكبر أو إلى غموض في البنية.

ومن هنا يظهر أن العربية لاتسير على قاعدة واحدة جامدة بل تختار بين الإعلال الإدغام بحسب يحقق التوازن الأفضل.

ويري أحمد مختار أن هذا التناوب بين الظاهرتين دليل على مرونه النظام الصوتي العربي، إذ لا يلتزم بحل واحد بل يراعى السياق البنبوي للكلمة (مختار، 1997).

فالإدغام والإعلال ليسا ظاهرتين منفصلتين، بل هما وجهان لسياسة لغوية واحدة تقوم على تحقيق الخفة على المحافظة على البنية.

المبحث الثالث: جماليات الإدغام في الكلمة العربية

المطلب الأول: الإدغام وتحقيق خفه النطق

الإدغام من أبرز الوسائل التي اعتمدتها العربية للتحقيق خفة النطق والاقتصاد في الجهد الصوتي، وهو من الظواهر التي تكشف بوضوح العلاقة الوثيقة بين النظام الصوتي والبنية الصرفية للكلمة فالعرب لم تكن تميل الى الثقل في الأداء، بل سعت إلى اختيار الأبنية التي تحقق سهولة النطق مع المحافظة على وضوح المعنى و سلامة التركيب، وكان الإدغام أحد أهم مظاهر هذا الميل.

أولا: الإدغام ومبدأ الاقتصاد الصوتي

يقوم الإدغام على مبدأ الاقتصاد الصوتي، أي تقليل الحركة العضلية اللازمة للنطق دون الإعلال بالبنية اللغوية فهذا المبدأ من أصول العربية في بناء الكلمة، إذ تميل اللغة بطبعها إلى اختيار الأسهل ما دام المعنى محفوظاً.

ففي مثل:

- مددـــ مدَّ.
- شدَد ـــ شدّ.
- اذكر ـــ اذّكر.
- اضترب ـــــ اضطرب.

نلاحظ أن الإدغام اختصر الحركة الصوتية، فجعل النطق أكثر سرعة وسلاسة.

وقد عبر سيبويه عن هذا المعنى حين جعل الإدغام من أبواب التخفيف، وربطه بميل العرب إلى تجنب الثقل (سيبويه، 1988).

أما ابن جني فقد توسع في تفسير ذلك أو رأى أن الإدغام نتيجة طبيعية لحرص المتكلم على الاقتصاد في الجهد، فقال إن العرب إذا تقارب الحرفان أو ثماثلاً فَروا من إعادتهما إلى إدغام أحدهما في الأخر (ابن جني، 1954).

وهذا يدل على أن الإدغام ليس مجرد قاعدة صناعية، بل هو استجابة فطرية لطبيعة النطق.

ثانياً: أثر الإدغام في انسياب اللفظ

من النتائج الجمالية المهمة للإدغام أنه يمنح الكلمة انسياباً صوتياً يجعل اللفظ أكثر سلاسة وأقرب إلى الطبع العربي.

فكلمات مثل:

- اتصل.
- ادَّكر.

تبدو أكثر انسجاماً من صورهما الأصلية المفكوكة

- اوتصل.

- اذتكر.

فالإدغام هنا لا يخفف النطق فقط، بل يجعل الكلمة أكثر قبولا في السمع وأقرب الى الذوق اللغوي.

فالعرب كانت تنفر من التتابع الصوتي الثقيل ولذلك فضلت الأبنية المدغمة التي تحفظ الإيقاع الداخلي للكلمة (ابن يعيش، 2001).

ويؤكد أنيس أن هذا الانسياب من أهم أسباب بقاء بعض الصور المدغمة واستقرارها في الاستعمال، حتى غلبت على أصولها الأولى (أنيس، 1999).

ثالثا: الإدغام وخفة النطق في القرآن الكريم

يظهر أثر الإدغام في خفة النطق بصورة جلية في النص القرآني حيث تأتي الأبنية المدغمة منسجمة مع الفصاحة العالية والإيقاع الصوتي الدقيق، من ذلك قوله تعالى﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف:45)

فالأصل الصرفي " اذتكر لكن الإدغام " ادّكر، منح اللفظ خفة وقوة وانسجاماً، وجعل الجرس الصوتي أكثر ملاءمة للسياق.

وكذلك قوله تعالى ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ "(الصافات: 55) الأصل (اطتلع ثم وقع الإدغام حتى استقرت الصورة القرآنية على صورة أخف وأفصح.

فانتظام الاصوات في القرآن الكريم ليس مجرد فصاحه لفظية، بل هو جزء من الإعجاز البياني، حيث تتآلف الحروف على نحو يحقق الخفة والجمال معاً (الزركشي،1957).

وهنا يظهر أن الإدغام يسهم في تحقيق الجمال من داخل البنية نفسها.

رابعا: الإدغام وخفة النطق في الشعر العربي

كما يظهر الإدغام في القرآن فإنه يؤدي دوراً مهما في الشعر العربي، لأن الوزن الشعري يحتاج إلى الفاظ منسجمه سهلة الجريان على اللسان.

فالأبنية المدغمة تساعد في المحافظة على الإيقاع العروضي وتمنح البيت قوة في الأداء.

مثل قول الشاعر:

شد الزمان على قلبي مصائبه حتى غدوت أسير الهم والتعب

فالتشديد في " شدَ، يمنح البيت قوى صوتية تتناسب مع ضغط المعاناة.

فلفظة (شدّ) أقوى وأخف من" شدد" وهي أكثر مناسبة للوزن والجرس الشعري.

ويشير النقاد الى أن الشاعر العربي كثيراً ما يختار الصيغ المدغمة لأنها أكثر فاعلية في الإيقاع وأشد تأثيراً في السمع وهذا الاختيار ليس مجرد ضرورة عروضية، بل هو جزء من الحس اللغوي الذي يفضل الأبنية ذات الجرس الأقوى (ضيف، 2004).

خامساً: المقارنة بين آراء العلماء

عدد مقارنة آراء العلماء نجد اتفاقاً واضحاً على أن خفة النطق هي الأصل الأول في الإدغام لكن الاختلاف يظهر في تفسير هذا الأثر

- سيبويه يراه من باب التحقيق الطبيعي.
- ابن جبي يجعله جزءاً من فلسفة اللغة في الاقتصاد الصوتي.

- ابن يعيش يربطه بالانسجام البنيوي.

ويرى تمام حسان أن خفة النطق ليست مجرد راحة عضلية بل عنصر جمالي يؤثر في تقبل السامع للكلمة (حسان، 2006).

وهذا يوسع مفهوم الإدغام من مجرد ظاهرة صرفية إلى قيمة جمالية.

فأثر الإدغام لا يقتصر على تحقيق خفة النطق وحدها، بل يمتد إلى المستوى أعمق يتمثل في إيجاد الانسجام الصوتي داخل الكلمة العربية، وهو ما يمنح اللفظ توازناً موسيقيا خاصاً، ويجعله أكثر قبولاً في السمع وأشد تأثيراً فى النفس.

فاللغة العربية بطبيعتها تميل إلى التناسق بين الأصوات و تتجنب التنافر الذي يثقل اللفظ أو يضعف الجرس، وكان الإدغام من أهم الوسائل التي تحقق هذا الانسجام.

ويقصد بالانسجام الصوتي توافق الأصوات داخل الكلمة أوالجملة بحيث تتآلف الحروف في نظام صوتي متوازن لا يشعر معه المتلقي بانقطاع أو تنافر أو ثقل والإذعام يحقق هذا الهدف من خلال دمج الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في صورة صوتية واحدة أكترا انتظاما.

المطلب الثاني: الإدغام وإزالة التنافر الصوتي

من أهم وظائف الإدغام أنه يزيل التنافر الناتج عن تتابع الحروف المتماثلة أو المتفارية إذا نُطقت منفصلة؛لأن هذا التتابع قد يسبب انقطاعا في الايقاع الصوتي.

فمثلا:

- اذتكر ـــ ادّكر
- اضطرب ـــ اضطرب
- اوتصل ـــ اتصل

في هذه الصور يظهر نوع من الثقل بسبب الانتقال السريع بين أصوات متقاربة. لكن الإدغام يعيد ترتيب العلاقة بينها، فيصيح اللفظ أكثر انسجاماً.

وقداً شار ابن جني إلى أن العرب لا تكره الحروف لذاتها، وإنما تكره اجتماعها إذا أحدث تنافراً في السمع، ومن هنا جاء الإدغام علاجاً لهذا التنافر (ابن جني 1954).

ويرى أنيس أن الإدغام يمثل نوعا من " التوافق الصوتي " الذي تسعى إليه اللغات بطبيعتها؛ لأن الأذن البشرية تميل إلى النظم الصوتي المنتظم أكثر من التقطيع الحاد (أنيس 1999) الذي تسعى إليه اللغات.

الإدغام وتحقيق التوازن الداخلي للكلمة

الإدغام يمنح الكلمة توازنا داخليا؛ لأن التشديد الناتج عنه يجعل البنية أكثر إحكاما، ويمنع التشتت الصوتي بين المقاطع.

فكلمات مثل:

- مدَّ.
- ادّخر.
- شدّ.

- اضطرب.
- اتصل.

تبدو أكترقوة وتماسكا من صورها المفكوكة وهذا التماسك لا يعود إلى التشديد وحده، بل إلى انتظام الإيقاع الداخلي للكلمة، حيث تصبح الحركة الصوتية أكثر انضباطاً.

وقد بين ابن يعيش أن الأبنية المدغمة أقرب إلى الطبع العربي؛ لأنها تحقق نوعاً من الاعتدال بين الطول والقصر وبين الحركة والسكون (ابن يعيش، 2001).

وهذا ما يجعل بعض الأبنية المدغمة أكثر فصاحة واستعمالا من غيرها.

الإدغام والانسجام الصوتي

أ- في القرآن الكريم

يتجلى هذا الأثر بوضوح في القرآن الكريم، حيث تأتي الأبنية المدغمة في مواضع تحقق اللفظ وانسجام السياق.

من ذلك قوله تعالي:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ (الأعراف: 28)

فالأصل "تداركوا" ثم حدث الإبدال والإدغام حتى صارت " ادّاركوا " فحقق اللفظ قوة صوتية تتناسب مع شدة الموقف وسياق التزاحم و الالتحاق.

وكذلك قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ (المائدة: 6)

فالتشديد هنا يمنح الكلمة قوة صوتية وانسجاما ينسجم مع معنى التظهر الكامل.

وقد أشار الزمخشري إلى أن كثيراً من الأبنية القرآنية المدغمة تحمل أثرا دلاليا نابعا من صورتها الصوتية نفسها، فالصوت هنا ليس وعاءً للمعنى فقط، بل جزء من بنائه (الزمخشري،1998).

وهذا يبين أن الانسجام الصوتي قد يتحول إلى وظيفة دلالية.

ب- في الشعر العربي

في الشعر العربي، يعتبر الانسجام الصوتي عنصراً أساسياً في بناء الإيقاع، ولذلك كان الإدغام أداة فعالة في تحسين الجرس الموسيقي للبيت.

مثل: بيت المتنبي

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تقنع لما دون النجوم

يستخدم الإدغام في (فلا تقنع) لتسهيل انتقال الصوت، مما يزيد من انسيابية الإيقاع ويبرز جمال النص. فالألفاظ المدغمة تساعد في انسجام التفعيلات العروضية، وتجعل الانتقال بين المقاطع اكثر سلاسة.

ويرى النقاد أن الشاعر العربي كان يختار الأبنية المدغمة لا لأنها أخف فقط، بل لأنها أكثر قوى على بناء الموسيقى الداخلية للنص.

ويؤكد ضيف أن الانسجام الصوتي في الشعر العربى كثيراً ما يبدأ من بنية الكلمة قبل أن يظهر في مستوى البيت كله (ضيف، 2004).

فالانسجام الصوتي هو أحد أسرار الفصاحة العربية، وأن الإدغام – يمثل أداة رئيسة في تحقيقه (حسان، 2006).

فيمكن القول إن الإدغام يسهم في بناء الانسجام الصوتي من خلال إعادة تنظيم العلاقة بين الأصوات داخل الكلمة، بحيث تتحول البنية من صورة ثقيلة متنافرة الى صورة متوازنة منسجمة فالا نجسام ليس مجرد أثر صوتي، بل هو جزء من الجمال اللغوي نفسه؛ لأن الأذن العربية تتذوق الفصاحة من خلال انتظام الأصوات قبل إدراك المعنى الكامل.

ومن هنا فان الإدغام يمثل أداة بنيوية وجمالية في آن واحد اذ يجمع بين التخفيف الصوتي والتناسق الفني.

وهذا يقودنا إلى المطلب الثالث، وهو دراسة أثر الإدغام فى الجرس الموسيقي للكلمة العربية، حيث يبلغ الجانب الجمالي ذروته الصوتية.

المطلب الثالث: الجمال الدلالي والبلاغي للإدغام

لا يقف أثر الإدغام عند حدود التخفيف الصوتي أو الجرس الموسيقي بل يتجاوز ذلك إلى بناء المعنى نفسه، إذ إن البنية الصوتية في العربية كثيراً ما تكون شريكة في إنتاج الدلالة، لا مجرد وعاء لها ومن هنا يظهر الإدغام بوصفه أداة بلاغية تسهم في تقوية المعنى،وإبراز الانفعال، وتكثيف الإحساس الذي تحمله الكلمة.

فالكلمة المدغمة لا تُحدث أثراً سمعية فقط بل يمنح المعنى درجة أعلى من القوة والتركيز؛لأن التشديد الناتج عن الإدغام يلفت السمع، ويُشعر المتلقى بزيادة في الفعل أو توكيد في الحدث أو شدة فى الانفعال.

ولهذا فإن الصرفيين حين درسوا الإدغام من جهة البنية كان البلاغيون يلاحظون أثره من جهة الدلالة معا يجعل الظاهرة مشتركة بين علم الصرف وعلم البلاغة.

أولا: التشديد بوصفه عاملاً دلاليا

ينتج الإدغام عن إلتقاء حرفين متماثلين أو متقاربين حتى يصيرا حرفاً واحداً مشددًا،وهذا التشديد ليس مجرد ظاهرة صوتية، بل يحمل قيمة دلالية واضحة ففي مثل:

* شدّ *غلّق

*قطّع *مزّق

نجد أن التشديد يوحي بالقوة والتكثيف والتكرار ويمنح الفعل دلالة أعمق من الصورة المفكوكة.

فكلمة: شدّ أقوى دلالة من شدد من حيث الاحساس السمعي؛ لأن التشديد يركز الفعل ويضغطه في بنية صوتية أكثر تأثيراً.

وقد أشار ابن جني إلى أن زيادة المبنى كثيرا ما يدل الى زيادة المعنى،والتشديد من أبرز صور هذه الزيادة (ابن جني، 1954).

وهذا يدل على ان الإدغام قد يكون أداة لتقوية الدلالة لا مجرد تخفيف للنطق.

ثانياً: الإدغام ودلالة القوة والشدة

من أبرز المجالات الدلالية التي يظهر فيها أثر الإدغام: معاني القوة والشوة والعنف فالألفاظ المدغمة كثيرًا ما ترتبط بأفعال قوية أو أحداث حاسمه مثل:

- شدّ
- غلّق
- قطّع

- مزّق

والتشديد هنا يوازي شدة الحدث نفسه، حتى كأن البنية الصوتية مثل صورة حسنة للمعنى.

ففي قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقتِ الْأَبْوَابَ﴾ (يوسف: 23): لم يقل " أَغْلَقَتْ " بل جاء بالفعل المشدد " غَلَّقَتْ "ليدل على الإحكام والمبالغة وشدة الفعل.

وقد أشار الزمخشري إلى أن اختيار هذه الصيغة ليس اعتباطيا بل؛لأن التشديد ينسجم فى المقام الدلالي، ويمنح الفعل قوة لا تحقق بغيره (الزمخشري،1998).

وهذا يوضح كيف يتحول الإدغام إلى أداء بلاغية داخل النص.

ثالثاً – الإدغام ودلالة التكرار والمبالغة

قد يدل الإدغام أيضا على التكرار أو الكثرة أو المبالغة خاصة في صيغ التفعيل والمبالغة.

مثل:

- كسّر
- قطّع
- علّام
- توّاب

فهذه الأبنية لا تدل على أصل الفعل فقط، بل على كثرة وقوعه أو قوته أو استمراره.

فكلمة: قطَّع أقوى من: قَطَعَ لأن التشديد يوحي بتكرار الفعل أو تعدده.

وقد قرر البلاغيون أن التشديد في مثل هذه الصيغ يسهم في تكثيف الصورة الذهنية عند المتلقي؛ لأن الصوت نفسه يحمل الإحساس بالفعل المتكرر.

ويرى قباوة أن الإدغام في صيغ المبالغة يمثل إلتقاء واضحاً بين البنية الصرفية والدلالة البلاغية، حيث يتحول التشديد إلى أداة تصوير معنوي (قباوة، 2008).

رابعاً: الإدغام وتقوية المعنى في القرآن الكريم

يظهر هذا الأثر بوضوح في القرآن الكريم حيث تأتي الأبنية المدغمة في مواضع تحقق شدة المعنى ودقة التعبير.

من ذلك قوله تعالى:﴿ وَشَدَدْنَا ﴾ (ص:20) فالفعل شددنا" يدل على التمكين القوي، وكذلك قوله تعالى:﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ (الشمس: 14) فالفعل دمدم " يحمل في بنائه الصوتي معنى التكرار والشدة والإحاطة بالعقوبة

وقد أشار الزركشي إلى أن الألفاظ القرآنية المشددة كثيرًا ما تُختار لما فيها من قوة صوتية تتناسب مع المقام النفسي والدلالي للآية (الزركشي، 1957).

وهنا يظهر الإدغام بوصفه جزءا من الإعجاز البياني.

خامساً: الإدغام وتقوية المعنى في الشعر العربي

في الشعر العربي يعتمد الشاعر كثيراً على الألفاظ المدغمة لإبراز الإنفعال النفسي أو القوة الشعورية

1. مثل قول المتنبي:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة بأني كاملٌ

(المتنبي، 1995)

(مذمّتي) نتجت من إدغام الميم الأولى في الثانية، فنتج تشديد له تأثير صوتي قوي يُبرز المعنى السلبي لكلمة الذم، مما يزيد من طاقة البيت الإيقاعية (السكاكي، 1987)

2. وقول الشاعر:

تراه إذا ما جئته متهلّلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(متهلل) إدغام اللام في اللام فهو إدغام متماثلين، فشدة اللفظ الناتجة عن الإدغام توحي بقوة الانشراح والانبساط، فالكلمة المشددة تعكس في صوتها الممدود مشهد البهجة والانفتاح فتزيد الجملة جمالاً تصويرياً وصوتياً(الزهراوي،2008).

3. قول عنترة بن شداد:

وإني لمِمّا يعلم اللهُ أنني لأشجع خلقِ الله عند اللقاءِ

(عنترة بن شداد،2004)

الإدغام في (يعلم) إدغام في الصيغ الصرفية للفعل فهو إدغام ناقص أو تقاربي في بعض التصريفات، فهو يساعد على اختزال الصوت ما يعطي إيقاعاً أسرع يناسب الثقة واليقين في المعنى فاللفظ المختصر يعكس شجاعة المتكلم وقوة يقينه.

ويؤكد ضيف أن الشاعر العربي كثيرا ما يختار التشديد لأنه يختصر الإنفعال في بنية صوتية مكتفة (ضيف، 2004).

فالإدغام يؤدي وظيفة دلالية واضحة لأنه لا يغير شكل الكلمة فحسب، بل يعيد توزيع القوة داخلها، فيجعل المعنى أكثر تركيزاً وتأثيرا.

والراجح أن التشديد الناتج عن الإدغام يحمل قيمة بلاغية أصيلة خاصة في سياقات القوة والمبالغة الإنفعال، حيث يصبح الصوت نفسه جزءاً من صناعة الدلالة.

سادساً: الإدغام وتقوية المعنى في النثر العربي.

فالإدغام يحقق الانسجام الصوتي فيجعل التوازن النغمي بين الكلمات، ما يضيف سلاسة في الأداء ويُحسّن الإيقاع.

1- من خطب الإمام علي رضي الله عنه

"ألا وإنَّ الدُّنيا قد أدْبَرَتْ وآذَنَتْ بِوَداعٍ....." (الشريف، 2001)

(أدبرت) أدغمت التاء الأصلية في تاء التأنيث مع بقاء اللفظ متماسكاً صوتياً، مما يعكس سرعة الحدوث والتتابع الزمني، وهو ما يناسب المعنى الخطابي (ابن يعيش، 2001).

2- قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

" حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا " (ابن الجوزي، 2003).

(تحاسبوا) إدغام التاء في الحاء في الفعل المبني للمجهول؛ تقارب صوتي فالإدغام يكثف الفعل ويوفر نغمة قوية تعكس هيبة الموقف (المحاسبة) فهو يضفي الجدية على التعبير ويناسب السياق الوعظي الصارم.

3- من وصايا الحسن البصري: " إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة" (ابن الجوزي،2003).

(إنما) أصلها "إنّ+ما" أدغمت نون "إن" في "ما"

الإدغام أعطى الكلمة وزناً نحوياً خاصاً (أداة الحصر) مما شدد على الحصرية والتأكيد.

البلاغة هنا في الإيجاز؛ فالكلمة القصيرة تحمل معنى الحصر والتوكيد، مدعومة بصوت الإدغام.

4- من الجاحظ: " البلاغة أن تجعل المعنى شائعاً في اللفظ شيوع الشمس في الأرض"(الجاحظ، 1998)

(تجري) يظهر الإدغام في صيغة الفعل المجزوم، حيث تُدغم النون في الجيم صوتياً، مما يعطي الكلمة طابعاً انسيابياً يسهم في وضوح الإيقاع النثري (الزركشي، 1957).

الخاتمة

بعد هذه الدراسة لموضوع الإدغام عند الصرفيين وأثره في جماليات الكلمة العربية المفهوم والأثر الصوتي والجمالي في النصوص العربية، يتضح أن الإدغام ليس مجرد ظاهرة صوتية عارضة ولا مجرد قاعدة صرفية جزئية، بل هو نظام لغوي متكامل يكشف عن عمق التفكير الصرفي عند علماء العربية. وعن دقة التوازن بين البنية الصوتية والدلالية والجمال البلاغي في الكلمة العربية.

وقد سعى هذا البحث إلى تتبع الإدغام من جذوره مفهومه عند الصرفيين مرورا بشروطه وأحكامه، ومواضعه في الأفعال والاسماء تم بيان أثره في البنية الصرفية والميزان اللغوي وصولاً إلى الكشف عن جمالياته الصوتية والدلالية والبلاغية في النصوص القرآنية والشعرية والنثرية.

وقد أثبتت الدراسة أن الإدغام يقوم على أصلين متلازمين: التخفيف الصوتي وسلامة البنية الصرفية فالعرب لا تدغم لمجرد الاختصار بل التحقيق الخفة مع المحافظة على وضوح الأصل وعدم الإخلال بالمعنى. وهذا ما جعل الإدغام مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالإعلال، والإبدال، وبالميزان الصرفي، وبالنظام الاشتقاقي العام للكلمة.

كما ظهر من خلال المقارنة بين آراء العلماء أن سيبويه وضع الأساس النظري للإدغام من جهة السماع والقياس، ثم جاء ابن جني فعمق تفسيره الصوتي، وربطه بفلسفة الاقتصاد اللغوي بينما أهتم ابن يعيش والرضي وابن عصفور بالجانب البنيوي والميزان الصرفي تم أعاد المحدثون مثل تمام حسان أحمد مختار تفسير الظاهرة في ضوء علم الأصوات الحديث.

وفي الجانب التطبيقي، كشفت الدراسة أن الادغام يؤدي وظيفة جمالية واضحة، إذ يسهم في خفة النطق، وتحقيق الانسجام الصوتي، وتقوية الجرس الموسيقي للكلمة كما يمنح المعنى قوة إضافية من خلال التشديد – خاصة في سياقات الشدة، و المبالغة والتكرار والانفعال النفسي وقد ظهر ذلك بجلاء في النص القرآني، حيث تأتي الأبنية المدغمة في مواضع تحقق أعلى درجات الفصاحة والإعجاز البياني، وكذلك في الشعر العربي حيث يخدم الإيقاع والانفعال، وفي النثرحيت تقوي النظم وتحسن العبارة.

ومن المقترحات التي يمكن أن تستكمل بها هذه الدراسة مستقبلاً:

- دراسة الإدغام في ضوء اللسانيات الحديثة والتحليل الفونولوجي المعاصر.
- دراسة مقارنة بين الإدغام في العربية الفصحى واللهجات العربية.

وبذلك يكون هذا البحث قد حاول الإسهام في إبراز قيمة الإدغام بوصفة ظاهرة مركزية في النظام الصرفي المعنى.

قائمة المصادر :

- القران الكريم، رواية قالون عن نافع
- الأستراباذي، الرضي (1975). شرح شافية ابن الحاجب، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3: ص 88،91،95،107،111،117
- أنيس، إبراهيم (1999). الأصوات اللغوية، الطبعة الخامسة،القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ص176،180،182،193
- الجاحظ، عمرو بن بحر (1998)البيان والتبين،(ط. ن) القاهرة: مكتبة الخانجي،ص76
- ابن الجوزي، أبو الفتح عبدالرحمن (2008).آداب الحسن البصري وزهدهومواعظه (تحقيق سليمان الحرش) الطبعة الثالثة، بيروت:دار النوادر ، ص96،287
- ابن جني، عثمان. (1954). الخصائص (تحقيق محمد النجار) القاهرة:دار الكتب المصرية،ج2:ص139،141،145،147،149،156،160،168،181،185،193
- حسان،تمام(2006). اللغة العربية مبناها و معناها،الطبعة الثانية، القاهرة: عالم الكتب،ص211،214،223،228،234،243،247
- الزركشي، بدر الدين (1957). البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل) القاهرة: دار إحياء الكتب العربية،ج1:ص298،317،327
- الزمخشري، محمود بن عمر (1998). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي،ج2:ص41،48
- الزهراوي،،صالح (2008)التجويد والصرف في النص القرآني (ط.ن)بيروت: دار الندوة،ص118
- السامرائي، فاضل صالح (2007). معاني الأبنية في العربية، الطبعة الثانية، عمان: دار عمار،ص194
- السكاكي، أبو يعقوب (1987) مفتاح العلوم، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية،ص135
- سيبويه،عمرو بن عثمان ، الكتاب (تحقيق عبد السلام هارون) مكتبة الخانجي،ج4:ص433،436،438،440،442،445،451
- شاهين، عبد الصبور (1980) المنهج الصوتي للبنية العربية، القاهرة: مؤسسة الرسالة، ص156،161،164
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين (2004).نهج البلاغة: خطب الإمام علي بن أبي طالب وكتبه وحكمه (تحقيق صبحي الصالح). بيروت،لبنان: دار الكتاب اللبناني،ص212
- شداد عنترة (2004) ديوان عنترة بن شداد (ط. ن)، بيروت: دار المعرفة،ص44
- ضيف،شوقي (2004). المدارس النحوية (ط 7) القاهرة: دار المعارف،ص167،171،176،181
- ابن عصفور، علي (1996). الممتع الكبير في التصريف (تحقيق فخر الدين قباوه) بيروت: دار المعرفة،ج2:ص412،418،425،431،437،448،452
- قباوة، فخر الدين (2008). التصريف العربي من النظرية والتطبيق، الطبعة الثالثة، دمشق: دار الفكر،ص173،189
- المتنبي، أبو الطيب (1995) ديوان المتنبي، الطبعة العاشرة، مصر : القاهرة: دار المعارف،ص102
- مختار،أحمد (1997). دراسة الصوت اللغوي، الطبعة الثالثة، القاهرة: عالم الكتب.ص184،191،203
- أبو المكارم، علي (2007). التصريف العربي. القاهرة: دار غريب،ص218
- ابن منظور، محمد بن مكرم (1993)لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الصادر،ج12:ص197
- ابن يعيش، أبو البقاء (2001) شرح المفصل، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية،ج10:ص129،133،137،141،149،153،164،166،168